الحضارة القديمة في حوض بحيرة تشاد (نموذج الساو)

The Ancient Civilization in the Lake Chad Basin (The Sao Model)

إعداد

د.زهرة عبدالقادر محمد

Dr. Zahra Abdelkader Mohamed

محاضرة بجامعة أنجمينا – تشاد

د .أبو بكر عبد الرحيم محمد الضي

Dr. Abu Bakr Abdelrahim Mohamed Al-Dai

محاضر بالمعهد العالي لإعداد المعلمين بأبشه

ابكر موسى توم

Abkar Musa Tom

طالب ماجستير جامعة الملك فيصل

Doi: 10.21608/ajahs.2025.460244

استلام البحث ١٤ / ٧ / ٢٠٢٥

قبول البحث ٢٨ / ٨ / ٢٠٢٥

محمد، زهرة عبدالقادر والضي، أبو بكر عبد الرحيم وتوم، ابكر موسى (٢٠٢٥). الحضارة القديمة في حوض بحيرة تشاد (نموذج الساو). ***المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩(٣٧)، ٣٤١ – ٣٥٤.

http://ajahs.journals.ekb.eg

الحضارة القديمة في حوض بحيرة تشاد (نموذج الساو)

المستخلص:

إن حوض بحيرة تشاد من ضمن البحيرات الإفريقية التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ المنطقة. نظرا لموقعها الاستراتيجي ووقوعها في طرق القوافل التجارية المارة الصحراء، مما جعلها مركزا تجاريا وشريانا للاقتصاد، فضلا عن أن المنطقة خصبة صالحة للزراعة، جذبت إليها الكثير من العناصر البشرية. كما أن طبيعة المنطقة نفسها من حيث خلوها من العوائق الطبيعية كالغابات والأدغال والمرتفعات سهل عملية التنقل منها وإليها ، وساعدت تلك العوامل على استقرار كثير من المجموعات التي دأبت على ممارسة الصيد وتربية المواشي والزراعة. فقد ساعدت خصوبة المنطقة على حل مشاكل الوافدين الاقتصادية، فأخذت تنتشر حول شواطئها وامتزجت مع بعض سكان تلك المنطقة. إن الأقاليم المتاخمة لبحيرة تشاد، كانت مراكز لحضارات عريقة في القدم، وقد قامت هذه الحضارات في كانم القديمة على يد شعوب متعددة، ويذكرها التاريخ بشيء من الإعجاب لما بذلوه من جهود من أجل بناء صرح الحضارات التشادية.

Abstract:

The Lake Chad Basin is among the African lakes that have played a significant role in the history of the region, owing to its strategic location along the caravan trade routes crossing the desert. This made it a commercial hub and an economic lifeline. Furthermore, the region's fertile lands suitable for agriculture attracted various human groups. The area's natural openness—free from barriers such as forests, jungles, or highlands—facilitated movement to and from it, contributing to the settlement of many communities engaged in fishing, livestock rearing, and farming. The fertility of the region helped resolve the economic challenges faced by newcomers, leading them to settle around its shores and intermingle with the local inhabitants. The territories adjacent to Lake Chad were centers of ancient civilizations that arose in old Kanem through the efforts of diverse peoples. History remembers them with admiration for their contributions to building the foundations of Chadian civilizations.

مقدمة

تعد تشاد منذ فجر التاريخ القديم معبراً وجسراً يربط الصحراء والمناطق الإفريقية الواقعة على مدار السرطان، وقد أوضحت الرسومات القديمة التي أظهرتها

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الحفريات مكونات الحضارات القديمة التي وجدت على الأراضي التشادية، وخاصة حضارة الساو العريقة.

ولقد أسهمت التقاليد الاجتماعية التي عاش في ظلها الشعب التشادي منذ العصور القديمة في إنشاء العديد من الحضارات التي نشأت في تلك المنطقة، ومن أبرزها حضارة الساو .

عاش الإنسان في تشاد منذ مئات السنين وبنى حضارات عريقة، كما تدل عليه الآثار المتقنة من النحت الحجري والرسومات، وكذلك الصناعات الحديدية والبرونزية، منها ما هو للاستعمال اليومي، ومنها ما يصاحبهم في حياتهم الأخرى .

تدل بعض الآثار التي عث عليها بجبال تبستي على أنها حضارة قديمة قامت بهذه المنطقة، فقد وجدت بعض الرسومات والمصنوعات الفخارية التي أظهرت مهارة الصانع ورقي فكره.

ومن المؤكد أن طريقي القوافل من مصر إلى بحيرة تشاد عبر السودان ، ومن الشمال عبر ليبيا إلى نفس البحيرة يعودان إلى مئات السنين إلى لوراء .

وقد حملت هذه القوافل حضارة مصر وحضارة حوض البحر المتوسط إلى هذه المنطقة .

أهداف الدراسة:

١. يتناول تاريخ الساو وحضارتهم، إذ كانوا من أقدم المجموعات البشرية التي استوطنت منطقة السودان الأوسط، وكانت لهم حضارة عريقة استقرت حتى قبيل مجيئ الإسلام في المنطقة، ومازالت آثارهم باقية حتى اليوم في المدن التي أنشأوها وأماكن سكناهم.
٢. إبراز حضارة شعب الساو والتي تتمثل في صيد الأسماك، والقنص، والزراعة، وتربية المواشي، مما أدى إلى إنعاش المنطقة، وجذب الكثير من العناصر البشرية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه:

١. يسلط الضوء على حضارة من أهم حضارات السودان الأوسط .
٢. لم تتناوله الدراسة سابقة تناولاً عاماً . وإنما ورد جزءاً في دراسات باللغة العربية الفرنسية.

منهج الدراسة :

استخدمت الدراسة المنهج التاريخي بتتبع الأحداث التاريخية، والمنهج التحليلي لتحليل تلك الأحداث.

المبحث الأول: قبائل الساو

تشير كل المصادر العربية والأجنبية أن قبائل الساو هم أهم وأقدم السلالات البشرية التي سكنت منطقة حوض بحيرة تشاد، وقامت بدور كبير

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

في تاريخ منطقة السودان الأوسط بصفة عامة، حيث انحدرت من هذه السلالة العريقة قبائل الكوتوكو.

وقد أكد معظم الباحثين والمؤرخين أن هذه القبائل استوطنت في معظم المنطقة الواقعة جنوب الصحراء، حتى المناطق ذات الغابات الكثيفة في الجنوب.(أبكو : ٢٠٠٢ غير منشور)

لا جدال في أن قبائل الساو، هي من أقوى القبائل الإفريقية من حيث التكوين الجسدي والكثرة العددية.

أما ما تناقلته الأساطير عن ضخامة الإنسان العادي والطول الأسطوري الذي ينسب إليه وكذلك القوة التي تلصقها به الأساطير وكان يصطاد أحدهم بمفرده فيلين ويحمله بيده الاثنتين إلى حيث يقيم، أو يبصر أحدهم بحدقة عينيه المجردة، الأشياء البعيدة عنه مسافة تقدر بنحو يومين، أو أكثر فهذا هراء ولا صحة له على الإطلاق.

معنى الساو:

حسب جان بول لبيف : أطلقت تسمية ساؤ على مختلف الشعوب السوداء غير المسلمة ، والتي انقرضت اليوم من القرن الخامس الميلادي ، وحتى دخول الإسلام ، وكانوا قد استقروا في جنوب بحيرة تشاد ونيجيريا والكاميرون وتشاد ، و من بين التسميات التي استخدمت فى تعيينهم ساو - سوو سوى - سو - ساو - والسا -إنسو - وساو ، وقد اعتمدت التسمية الأخيرة لأنها توافق النطق الجاري للبلد الذي كانوا ينتمون إليه ، حيث تعني هذه العبارة الرجال أو الرجال السابقين ، وإنما اتفقت على تسمية، حيث تعني هذه العبارة "الرجال" أو الرجال السابقين، وإنما اتفقت على تسمية شعب الساو لأنها قد تكون تجمعاً لعناصر ذات جزور متنوعة، هذه العبارة التي جاءت من الشمال ومن الشمال الغربي لبحيرة تشاد وفي الجنوب وفي الشرق كانوا قناصين وصيادين.(idrahim. (Tidjani : 1997 . p 3-4) .

إن الساو شعب من العمالقة، قد أتوا من الشرق، وتكتب هذه التسمية لعدة أشكال كما ذكرنا سابقاً، وأن العبارة الأكثر انتشاراً قد تكون أتت من كلمة "ساو" والتي تعني في لغة الكوتوكو من سكان قلفي حائط.

وكلمة ساو تكلم أي أنها لم نجد إذن صاغية، وبعد الوصول إلى شواطئ بحيرة تشادِ قوي مراكز هم فاتجه الأخرون نحو الغرب عن طريق المراكب . (وثيقة رقم ١٧٢ المعهد الوطني للعلوم الإنسانية أنجمينا - تشاد)

ويفسر بالمر "كلمة ساو" بمعنى عمالقة نظراً لورود العديد من الحكايات والقصص المحلية التي تبالغ في ضخامة أجسامهم وقوة بأسهم.

وتشير بعض الروايات القديمة والتي تستعمل في لفظ الساو ولتحديد مجموعة إنسانية، والتي امتدت منذ أمد غير محدد، وبالرغم من اتصالهم بالسود

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

انتشرت هذه التسميات عند المحلين الكانوري والذين هم سكان هذه المناطق التي تطل على النهر وهذا الاسم ترجم من قبل الإنسان بمعنى "الرجال القدماء) أو الناس القدماء(كلود: ١٩٩٨م ص ٥٢) وفي هذا تأتي كلمة الساو "سور داخل" في لغة أهل مكري والتي حدد قريباً في عصرنا هذا.

إن كلمة ساو أطلقها عليهم عرب هذه البلاد، بدليل أن العرب في الجزيرة العربية لا خبر لهم عن هذه القبائل الزنجية، بل إنهم عبارة عن قبائل الكوتوكو والمندرا وإنهم عرفوا بهذا الاسم أي كوتوكو منذ القرن الخامس عشر الميلادي. (lebeuf – j.p- qrc ;p.p 12-14)

المبحث الثاني: أصـــل الساو

من أهم القبائل التي قطنت منطقة كانم وحول وبحيرة تشاد قبائل الساو وهي من أقدم من ورد ذكرها في المصادر والمراجع التي كتب عن تاريخ المنطقة ولكن الباحثين لم يهتدوا بعد إلى الأصول التى تعود اليها قبائل الساو. وتقول بعض الروايات بان الساو ليسوا من شعوب أفريقيا بل انهم وفدوا من خارجها وربما انهم آتو من شمال أوروبا او من بلاد المقول ومنطقة الأناضول بآسيا.(صالح: ١٩٧٦،٧٩.).

أما الرحالة بارث فيقول أن شعب الساو هم قسم من الفولانيين الذين أتوا من غرب قارة إفريقيا، وبالتحديد من منطقة نهر النيل الأعلى والسنغال وسكنوا حول بحيرة تشاد وهم يعتبرون السكان الأصليين لمعظم إقليم السودان الأوسط الواقع بين الصحراء الكبرى ونطاق الغابات الجنوبية الكثيفة ، وهذه المنطقة الواقعة جنوب تبستي و شمال نهر شاري وسكن الساو المنطقة التي عرفها العرب باسم ودان جنوب ليبيا.(طوخان : ٢٠).

ويقول المستشرق الإنجليزي بالمر في كتابه مذكرات سودانية ان سكان منطقة "كاورا" هم الساو وهي المنطقة الواقعة شمال شرق بحيرة تشاد ، وتمتد شمال حتى إقليم فزان جنوب ليبيا.(كلود: ص ٥٢)

وفي هذا يصف لنا ياقوت الحموي قائلا: كاورا ناحية واسعة جنوب فزان خلف

وفي هذا يصف لنا ياقوت الحموي الواج بها مدن كبيرة ، منها قصر أم عيسى وأبو البلماء والبلاس أكبر مدنها أبو البلماء وألوان أهلها صفر يلبسون ثياب الصوف ، وفي بلادهم أسواق ومياه جارية.(الحموي : ج ٤ ،١٩٩١، ٤٣٢).

ويرى العالم الفرنسي لبيف، أن أصول شعب الساو تعود إلى سلالة الهكسوس على أساس التشابه فى الخلقة وفي الدور الذي قام به هؤلاء في قلب إفريقيا، وأولئك في. مصر وذلك من حيث اعتمادهم على الخيل في حروبهم واستعمالهم الحراب والسهام الراشقة والعربة التي تربط خلف الحصان ليقف عليها الفارس ويرشق بحرابة في سرعة فائقة..

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ويشارك في الأخذ بهذا الرأي المؤرخ الإنجليزي دفيدسون، حيث أورد تحليلا مطولا لذلك في كتابه إفريقيا القديمة تكتشف من جديد ، وكلا الكاتبين لبيف ودفيدسون من علماء الآثار الذين يعتمدون على الحفريات والآثار القديمة هذا وقد دلت الحفريات الأثرية الحديثة التي قام بها العالمان الأثريان وهما ماسودتروبي، ولبيف ، في فترة ما بين عام ١٩٣٦-١٩٤٨ عن وجود حضارة قديمة للساو، حيث اتضح ان هناك اتصالا ثقافيا كبيرا بين وادي النيل ومنطقة النيجر، ولعل هذه الدراسات تعتبر من أكبر الدراسات تأكيدا لعلاقة شعب الساو بشعب مصر القديم.(كلود، ٥٤-٥٥.).

كما أن المؤرخين العرب المسلمين رجحوا في كتاباتهم في أن أصل الساو يعود إلى أصول أقرب ما يكون إلى الشعوب التي عاشت حول نهر النيل ، وذلك على أساس التشابه في الصناعات والرسومات والمهارات اليدوية مثل صناعة البرونز التي برعوا فيها والفخار والرسوم على جدران الكهوف والمغارات، وعلى أحجار الجبال التي ينحتونها بمهارة ، وظهرت كثيرا من صور الحيوانات كالثور والحصان والكباش التي عبدوها قبل الإسلام فكل ذلك يشبهون الفراعنة الذين برعوا في تلك الرسومات التي وجدت على معابدهم ومقابرهم.(كلود ، ص ٥٣-٥٤.)

وقد حاول البعض أن يفسر الأعمال التي حققتها هذه الشعوب في قلب القارة الإفريقية لم تصدر عن شعوب إفريقية أخرى أصيلة ، وحاولوا ان يوحوا بأن الشعوب الساو كانت ترجع أصولها إلى قبائل الهكسوس في وادي النيل الذين غزو مصر القديمة على أساس التشابه فى الخلقة وفي الدور الذي قام به هؤلاء قلب القارة الإفريقية وأولئك في مصر.(رفيد سون: بدون تاريخ،٥٠).

ولكن لبيف نفى هذه الأسطورة وحدد تاريخ وصول الساو الي بحيرة تشاد لمدة لا تزيد عن القرن العاشر الميلادي .

على حيث يؤيد ارقوي وصولهم إلى المنطقة واستقرارهم على الشاطئ الشرقي للبحيرة ، وفي منطقة السافنا شمال تشاد بالقرن الثامن الميلادي ، وهذا يؤكد لنا على ان دولة كانم قامت في القرن الذي ذكر فيها ارفوي ، إلى ان شعب الساو وجد أيضا في بعض المناطق السودانية والصحراء الوسطى.(الوعد - مجلة ، بدون تاريخ، ٨٦).

وتشير بعض المصادر التي وردت إلينا وهي ذات أهمية تاريخية كبرى وقد أفاد بها السيد/ إبراهيم بنو ا نائب رئيس المركز التشادي للعلوم سابقا ، والذي أصله من قبيلة الكوتوكو ، وكذلك ممن ينتسبون إلي قبائل الساو وعلى حسب قوله ان الساو آتوا من اليمن ، وهذه المصادر قد تلقاها أجداده.(وثيقة رقم 702 المعهد الوطني للعلوم الإنسانية بأنجمينا تشاد)

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المبحث الثالث: هجـــرات الساو

وتقول بعض الراويات أن الطرق القديمة من وادي النيل شهدت كثيرا من الفارين من الحروب والغزوات بعد انهيار "كوش" وانتصار الأحباش في أكسوم وقدوم العرب إلى مصر.

ان موجات كثيرة تدفقت من المهاجرين قد وصلت دفعة تلوا أخرى إلى بحيرة تشاد . مكونة في الأساس إمبراطورية كائم التي بدأت مع بداية القرن الثامن الميلادي ، واستمرت حتى القرن السابع عشر الميلادي ، ومع ظهور قبائل الساو في المنطقة المجاورة لحدود حوض بحيرة تشاد تنتهي الموجه الحضارية التي قامت من وادي النيل، وبدأت حضارة جديدة وهي حضارة الساو العريقة.(وفيد سون ، ص ٥٠).

ولمدة طويلة من الزمن فإن عددا كبيرا من الجماعات البشرية ذات الأهمية قاموا بتنقلات متتابعة قصيرة أو طويلة بطيئة على كل حال – بل بالأحرى ابتداء من المجاري إلى الرهود حتى الأنهر.(Jean chapelle . 1950 , 7-8)

وكان ذلك حسب تسلسل تاريخي بالنسبة المجموعات الرئيسية التي كانت على شكل صيادين ترافقهم كلابهم السريعة .

إن أول السكان وصولا إلى هذه المناطق هم صيادون مسلحون بالحراب والرماح ومعهم كلابهم جارية أتت من كانم ، مرورا بالقرب الشمال الغربي البحيرة تشاد . "منطقة ميتو" في الشمال والجنوب الغربي لبلاد المندرا.(Le beuf ((ip) opict , 14-15 .

إلا أن هذه القبائل التي هاجرت إلى تلك المنطقة بدأت تمارس بعض الحرف مثل صيد الحيوانات وتربية المواشي ، والزراعة والصناعات التي تتعلق بالفخار الحزفي التي أقاموها على الجدران والكهوف ورؤوس الكباش والرسومات التي شيدوها.(Jean chapelle: 1986 ,.30) ويحدد أرفوى تاريخ هجرتهم إلى منطقة حوض بحيرة تشاد بحوالي القرن السادس الميلادي، أو قبيل دخول الإسلام إلى إقليم غرب إفريقيا وانتشروا في بادئ أمرهم على الضفة الشرقية الشمالية للبحيرة، ثم سيطروا على منطقة السافنا الممتدة شمالا واستقروا أخيرا في الجزء الجنوبي الغربي للبحرية.(وطرخان،٢٠).

ومن الملاحظ أن استقرار الساو شرقي و غربي البحيرة وظهور دولة كانم تبقى ثغرة كبيرة هل يمكن أن نقول بأن شعوب الساو تمكنوا من إنشاء دولة في المناطق البعيدة، في حين كانت تعانى من تدفق الشعوب المهاجرة على أرضها ربما لم يتمكنوا من ذلك، ولكن بغض النظر عن هذه الشعوب المهاجرة ، فقد قدمت شعوب أخرى استطاعت في يوم أن تنشئ دولة كانم، وأثبتت انها تستطيع أن تكون ذات تأثير حضاري بعيد وهام في توحيد الشعوب المختلفة شرق حوض النيجر.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وذلك نظراً لتوفر المراعي الطبيعية والسهول المنتشرة الصالحة للرعي وتربية المواشي وصيد الحيوانات البرية والبحرية، وهي الحرفة التي كانوا يعتمدون عليها لأنها تناسب ظروفهم كشعب قادم من الصحراء وذلك في الحل والترحال.

المبحث الرابع: الموارد الطبيعية لشعب الساو

وهي تتمثل في الهبات الطبيعية التي منحها الله للإنسان ليستثمرها ويحقق بها المنفعة لسد احتياجاته الرئيسية .

وقد استطاع الإنسان أن يستغل هذه العناصر الطبيعية استغلالا اقتصادياً مباشراً، فصاد الأسماك من المياه وغير ذلك من الأشياء.

إن غياب المستندات التي تعالج بصفة عامة نوعية مسألة الاقتصاد، لا تعني رديف عدم وجودها أو غياب حول الاقتصاد لدى الساو .

هكذا فقد دلت بعض النظريات الأثرية بأن اقتصاد الساو قام على صيد الأسماك والقنص وتربية المواشي والزراعية، ويضاف إلى ذلك وجود بعض القطع التي كانت تستعمل كنقود.

صيد الأسماك:

إن حرفة صيد الأسماك هي الحرفة الرئيسية لشعب الساو، وتمثل هذه الحرفة النشاط الرئيسي لشعب الساو، ويختلف أساليب الصيد من منطقة لأخرى، كان صيادو الأسماك يأتون من أماكن عديدة يسكنون بالقرب من مجاري المياه. (Chqpelle.. Op. cit p30) .

وحسب التسلسل الشفهي الذي لم تؤكده الحفريات الأثرية، ويلاحظ أن هؤلاء الصيادين كانوا يستخدمون الشراك لصيد الأسماك، وكان تلك الأسماك تسمى (دينست) وهذا النوع من الأسماك يميز من خلال سنة الواحدة هي شبيهة بالأسماك المتواجدة في المياه الطينية.

وأن وجود سنارات العظم والحديد وخاصة الفخار المركزة في الشباك كانت موجودة بكثرة، وتثبت وجود تقنية صيد متقدمة.

بينما سكن صيادو السمك مباشرة بجوار النهر أو الرهود والمستنقعات، إلا أن الملاحظات التي تمت في الميدان لم تؤكد تلك المعلومات، وهذا ما يبدو أنه يرجع في بعض المواقع إلى تغيير الأنهر والرهود لمجاريها.

ونحن نعلم علاوة على ذلك بأن عدداً من الصيادين كانوا يستخدمون مراكب كبيرة مزودة بشباك واسعة، وكانوا يستخدمون الشراك لصيد الأسماك ذات الأشكال المختلفة مثل ، التماسيح وفرسان النهر ومختلف لصيد أنواع الأسماك.

وقد أكد أبكر صالح المساعد في المتحف الوطني بقوله (إن حرفة شعب الساو أساساً صيد الأسماك، وفي أثناء صيد السمك يرجع رجله ويضعها في مياه النهر ثم يرمي شباكه في النهر، وكانت لهم مراكب كبيرة لصيد الأسماك تسمى (زيمي) وأن لهم رئيس خاص في أثناء حملاتهم لصيد الأسماك، ولم يستطيع أحد

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

منهم الخروج إلا بموافقة الرئيس له، الذي يرمي شباكه أولاً، ثم يأمر الآخرين برمي الشباك لصيد الأسماك لهم أغاني موسيقية التي تحرك الأسماك في النهر حتى تتجه الأسماك نحو الأغنية التي يسمعونها، ومن خلال ذلك يصطادون أنواعاً كثيرة من مختلف الأسماك. (إبراهيم، أبكر صالح: مقابلة شخصية ٢٠٠٥/١/٣١م في الساعة ١٠:٤٥ صباحاً) .

ومن المدن القديمة لجمهورية تشاد التي أسسها الصيادون نذكر منها (قيما زوي، وأزقين، وشقوى، وديلالي) كل هذه المناطق سكنها صيادو الأسماك إلا أن كل هذه ليست سوى أمثلة. (أبكر، ٥٣) .

وفي الجنوب الشرقي فإن أهمية التحرك العام الذي دفع بالملويين نحو الشمال والذين يمتدون إلى أحد أماكن الحملات الموسمية لصيد الأسماك مازالوا حتى أيامنا هذه ينتشرون إلى ما بعد نحو رافدي شاري ولوغون. (lbid. P9)

إن الكميات الهامة في هذه الأدوات تظهر بأن الساو كانت لديهم العديد من الشباك التي يستخدمونها في نسج الملابس القطنية وفي صناعة شباك الصيد.

وأن أثقال الفخار هي الأواني الوحيدة التي وصلتنا من أدوات صيادي السمك بالشبكة، أما المركبات والمراكب المصنوعة بمواد مستهلكة قد اختفت، ويضاف إلى هذه الأشياء مؤشرات أخرى حول الحياة المادية للساو. (Leboeuf. Jean paul et (Masson de troubet: la civilisation du Tcad,aris

القنص:

حينما كثر سكان المنطقة لم تعد التمار والحشرات التي يلتقطونها كافية لصيد الحيوانات الأكبر حجماً، ولكن تطلب ذلك من الإنسان نوعاً من النشاط لزيادة حاجته الغذائية، وغالباً ما ترتبط بحرفة الصيد عملية جمع والنقاط الثمار، فإن الإنسان يجمع ويلتقط ما يصادفه أثناء تجواله وإذا ظهرت له فريسة يستطيع أن يصطادها فإنه يطاردها.

وكان القناصون يأتون من اتجاهات مختلفة ويسكنون بالقرب من المياه، وكان بعضهم يستخدم الأقواس والسهام والرماح لكي يصطادوا الحيوانات التي تأتي إلى أماكن شرب المياه في الأنهار أو الرهود والمستنقعات حيث نتواجد الحيوانات هناك، وهناك إثنان من رماة النبال جردوا سهامهم احترقت أحمدهما وحيد القرن تركته من دون تحرك، وهذه الطريقة يعرفها القناصون الرعاة.

وكان ذلك على حسب الرسومات الموجودة في مناطق شمال تشاد هذا دليل يؤكد لنا أن شعب الساو .

وبعبارات أخرى يمكن القول أن شمال بلاد الصاو شهدت عدة موجات متتابعة من الصيادين الذين يحملون الرماح القادمون أيضاً من فتري وميتو ومن جنوب بنوي ولوغون الأوسط انتهوا إلى وسط البلاد، بينما أكتظ الجزء الجنوبي من المنطقة بالصيادين الذين ينشقون القوس وهم من سكان (مندرا) ومنطقة (دال)، ثم

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

صيادين جنوبيين يقارنون بسكان ملوي الحاليين والسارا والتوبري.(Chapelle, (Jean: P 7.-

إن التقليد الذي نقله العلماء والأقوال الشعبية تقدر بأن الصيادين سكنوا عامة قريبا من أماكن المياه الجارية.

بينما أسس صيادون مسلحون بالأقواس (تاقو ، وكبرو، وميتو) وصيادون أخرون مزودون بالرماح أسسوا ،مدينة قاوي، وقد احتل منطقة (مدقا) أولاً صيادون تسلسل تاريخي بالنسبة للمجموعات الرئيسية التي ينتشقون الأقواس، وذلك على حسب شكل صيادين مسلحين بالرماح يرافقهم كلاب جارية أتوا من كانم وصيادون آخرون مزودون بأقواس ترجع أصولها إلى منطقة (ميتو) وجاء بعضهم من الشمال، وجاءت مجموعة ثالثة من (مندرا)، وأتى صيادون من ضفاف بحيرة تشاد، ومن الشرق والجنوب وصلوا في الغالب في نفس الأماكن وأنشاوا بذلك مدن جديدة على الآثار التي هجرت. (Ibid,9)

بينما يعترف التاريخ الشفهي للكوتوكو بأن بعض قرى الملويين كانت قائمة على طول النهر في المنطقة التي أسسوا فيها لوغون برني (بالكمرون) هو أساس قاموا فيه بدور إسم الصاو، وهو دور ملحوظ بانضمامهم إلى مجموعات من الصيادين أيضا بأنهم من الساو. (Chapelle, 8)

يقول السيد محمد الحاج أن شعب الساو كان يصطاد الفيل والغزلان والزراف ووحيد القرن وأنواع مختلفة من الحيوانات الموجودة في الغابات ويحملون معهم الحراب والرماح والسهام، وكانت لهم سكاكين طويلة مصنوعة من الحديد والبرونز، ولهم لباس خاص للصيد وهو مصنوع من الزعف ويتلثمون بهذا اللبس ويتجهون إلى الأماكن الوعرة التي تختفي فيها الحيوانات الكبيرة والصغيرة، وفي أثناء مرور الصيد، يصطادونه وهو لا يراهم.(محمد الحاج محمد مقابلة ،2005/1/12 م في تمام الساعة ٧:٣٠ مساء)

وتشير بعض المصادر ان قبائل الساو التي استوطنت منطقة حوض بحيرة تشاد منذ العصر الحجري القديم، وكانوا يجيدون صيد الحيوانات البرية، حيث كانوا يجيدون استعمال الأقواس والحراب والسهام، حيث تتخصص تدريب بعض هذه القبائل في استعمالهم هذه الآلات بمهارة فائقة، لذا ظلوا ولفترة طويلة غير مستقرين يجوبون أو يرتحلون معظم المنطقة الواقعة حول حول بحيرة تشاد حيث استقروا في آخر المطاف في جنوب بحيرة تشاد الحالية، وكانت هذه المناطق غنية بالحيوانات البرية العديدة كالفيلة والزراف، ووحيد القرن والغزلان وغير ذلك من انواع الحيوانات المختلفة.(أبكر ، ٥٢.)

تربية المواشي:

إن تربية المواشي لم تكن متطورة حسب المعلومات التي وجدناها حتى الآن وكانت تتسم بتدجين الحيوانات الصغيرة والكبيرة مثل الأبقار والأغنام والماعز.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

تعتبر تربية الأبقار والأغنام والماعز من الحرف القديمة التي مارسها شعب الساو في المنطقة، نظراً لوفرة المراعي والمياه، إلا أن انتشار بعض الأوبئة والأمراض الفتاكة أدت إلى موت أعداد كبيرة من هذه الحيوانات .(أبكر : ص ٥٣.)

فاستفاد شعب الساو من ألبان ودهون وجلود الحيوانات التي قاموا بتربيتها واختاروا الأماكن التي تصلح لتربية مواشيهم، حيث تتوفر المياه والأعشاب في تلك المنطقة.

إن أسلوب (كرناساهي) ممثل منذ مرحلتها الأولى، إنها تعبير فني لثقافة من الرعاة الذين تظهر صورهم إلى جانب أبقارهم، غالبا ما يكون متعدد الألوان وترى في الرسوم رجال سمرتهم غامضة ومحمرة ومن ذوي الأحجام الصغيرة يحملون أقواسا وأسلحة منحنية. (Paul Hourt, 240.-)

وقد التقتطت (سنتا ماريا صورا لزرافتين صغيرتين بضاويتين تتخللهما حمرة، وكذلك إثنان من رعاة الماعز من العصر الحديدي يرتدي أحدهما سروالا منفوخا(Ibid,.245). في حين يسكن في الجبال رعاة يرعون البقر والأغنام والماعز(-ليون الإفريقي: 1983 م، ص176)

إن أسلوب التماثيل الحيوانية أقل عددا من التماثيل البشرية، تتم عن الأهمية التي تعزي إلى بعض الأنواع المائية والبرية، ونجد منها حيوان من الثديات يسمى (لامانتان) أو (ديفون) وسلسلة جميلة من فرسان النهر.

الزراعة:

عرف الإنسان في العصر القديم إن الإنسان اكتشف الزراعة عن طريق المصادفة، وإنه لم يبذل جهداً في ذلك ، ولا شك أن وصول الإنسان إلى معرفة الزراعة كان خطوة كبيرة للحضارة الإنسانية البشرية التي أدت إلى استقرار الإنسان وإلى ممارسة التعاون فنشأت القرى والمدن.

والزراعة في حد ذاتها هي زراعة بسيطة هدفها سد حاجة المزارع وتزاولها شعوب وسط إفريقيا، حيث لا تحرث الأرض ولا تستمد بل يستمر الإنسان في زراعة قطعة الأرض حتى يستفيد من خصوبتها ، ولا تعرف الزراعة البدائية من آلات الزراعة إلا الفأس الصغيرة التي تمسك بيد واحدة وبعض الأدوات الخشبية من فروع الأشجار.

وتعتبر الزراعة عنصرا أساسيا في الاقتصاد للإنسان، وقد عرف شعب الساو حرفة الزراعة منذ العصر الحجري الحديث واستغلها استغلالا جيدا، وقد ساعد على ذلك خصوبة التربة، وتوفر المياه في المنطقة التي عاشوا فيها، وتشكل منطقة بحيرة تشاد المحور الأساسي لهم، وكانت أنواع المزروعات هي الذرة الحمراء والذرة الشامية وغيرها من المزروعات ذات الفلقة الواحدة (l'harmattan,aris 1986, 76.)

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

إن طبيعة ما تم الحصول أثناء الحفريات الأثرية تدل على أن هناك أعمالاً زراعية قائمة.

أحد ويذكر السيد أبكر صالح المساعد بالمتحف الوطني التشادي وهو من الأشخاص الذين نقبوا مع السيدة (كلوستر) في منطقة (مدقا) إن شـ عب الساو يزرعون الذرة الشامية والذرة الحمراء فى أماكن الفيضانات عند رجوع المياه ويزرعون الفول وأنواع من الحبوب ذات الفلقة الواحدة.(ابكر ، مقابلة2005/1/31 م في تمام الساعة ١٠:٤٥) وهذا دليل يؤكد لنا على أن هناك أعمال زراعية ،قائمة، كما أن الآلات الزراعية كالمحراث والكدنقار والمجرفة تم العثور عليها أثناء التنقيب ، ويشير إلى ممارسة شعب الساو لهذه الحرفة.

ونسبة لسقوط الأمطار الصيفية التي تهطل في هذه المنطقة، ولوفرة المجاري المائية المتعددة، يمارس شعب الساو زراعة الذرة الشامية والذرة الحمراء والبيضاء في موسم الأمطار، فكانوا يزرعون في المناطق الفيضانات الذرة البيضاء وبعض الخضروات بمختلف انواعها، كما يزرعون بواسطة (الشادوف)* بعض الخضروات والفواكه.(ابكر، ٥٤)

وبالرغم من كثرة المنتجات الزراعية في المنطقة إلا أن الفائض منها يدخل في التجارة، حيث كانوا يستبدلونها ببعض الحاجيات الأخرى مثل الملابس وأدوات الزينة وغيرها.

والجدير بالذكر أن هذه المنطقة عرفت زراعة القطن، حيث ظهرت صناعة النسيج والملابس من القطن، كما كانت تدخل بعض المحاصيل الزراعية الصناعات المختلفة التي تصنع محليا.

في وقد كشف علماء الآثار عن حقائق في هذه المناطق تدل على أنها كانت آهلة باقوام يشغلون الزراعة.(أيوب، ٥.)

وهذا دليل يؤكد لنا على أن شعب الساو كان يمارس الزراعة في الزمن القديم، وكانت الزراعة تمثل عنصرا من العناصر الأساسية التي يعتمدون عليها في حياتهم.

الخاتمة:

إن أول شعب نستطيع أن نسميه في تشاد هو شعب الساو قبل كل البحوث الأثرية وقبل كل النصوص القديمة التي تكشف عن مكانة في التاريخ، حيث كان هذا الشعب معروفاً في كل منطقة الساحل التشادية عن طريق الأقاويل الخرافية.

---

* الشادوف: عبارة عن آلة بسيطة لري المزارع ويتكون من شعبة من حطب وعود طويل فوق هذه الشعبة، حيث يربط في طرفه الأول كتلة من الحجر، بينما يربط في الطرف الثاني (جودلا)ويقوم الرجل بغمس الجردل فى ماء النهر فيجذبه كتلة الحجر إلى الأعلى يصب في الحوض الزراعي

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

إن الروايات الأكثر تنوعاً تشير على الحدود من الغرب وحتى الشمال، وتشير إلى بناء كل من : كانو، وكامو، وأغاديس، وجوارب، وبحر الغزال، وفي نهاية الشرق، تشير إلى بحيرة فتري وإلى إقليم ميتو، وأما في الجنوب فقد تمت الإشارة إلى وجودهم في منطقة وازا، ومنطقة بيا بالكاميرون على طول نهر شاري حتى منطقة منجفا وحتى منطقة بيسو .

وحسب الأقاويل الخرافية والأساطير: أن الساو قد يكونوا جاءوا من الشرق في فترة غير محددة وذلك من الشرق الأوسط وفلسطين، والمملكة العربية السعودية أو من شمال مكة.

إن الساو شعب أكثر تنظيماً يتكون من عدة قبائل فهم صيادون وقناصة للحيوانات البرية، مزارعون ومربون للمواشي ويتمتعون بأيدي حرفة ماهرة.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

المصادر والمراجع:

١. إبراهيم، أبكر صالح: مقابلة شخصية بموضوع صيد الأسماك، وذلك بالمتحف الوطني بأنجمينا بتاريخ ٢٠٠٥/١/٣١م في الساعة ١٠:٤٥ صباحاً
٢. ابن يونس الشيخ / ابراهيم صالح: تاريخ الإسلام وحياة العرب في ماطورية برنو شركة الباب الحالي وأولاده القاهرة، ١٩٧٦.
٣. أيوب،د/ صالح مجتمعات وسط الثقافة
٤. رفيد سون، باسيل: الإفريقية القديمة تكتشف من جديد ، ترجمة نبيل بدر ، وسعد زغلول الدار القومية للطباعة والنشر بون تاريخ.
٥. د/ طرحان ، إبراهيم على : إمبراطورية البرنو الإسلامية الهيئة المصرية للكتاب : القاهرة ، ١٩٧٥.
٦. عبد الله ياقوت الحموي : معجم لبلادنج ٤ ن بيروت، ١٩٩١.
٧. د/ فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم (٦٠٠-١٠٠٠هـ ١٢٠٠-١٦٠٠م منشورات كلية الدعوة الإسلامية، رقم ١، طرابلس ١٩٩٨م
٨. ليون الإفريقي، محمد حسن الوازن وصف إفريقيا، ط٢، ج٢ ، ١٩٨٣، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغر الإسلامي، بيروت - لبنان،
٩. ماجه ، محمد أبكر : مملكة لقون الإسلامية، تاريخها وحضارتها،
١٠. محمد الحاج محمد مقابلة شخصية بموضوع القنص وذلك في بيته بحي سابنقالي ، بتاريخ2005/1/12 م في تمام الساعة ٧:٣٠ مساء
١١. وثيقة رقم ١٧٢ المعهد الوطني للعلوم الإنسانية أنجمينا - تشاد
١٢. وثيقة رقم 702 المعهد الوطني للعلوم الإنسانية بأنجمينا تشاد
١٣. الوعد - مجلة عربية جامعة من تصدر من دار دنيا الكواكب بيرقت - لبنان بدون تاريخ.
14. idrahim. Tidjani : les parures en bronze dronze dans la soci, ets sas thad . abidjan 1997 . p 3-4
15. Jean chapelle 1. ar sao, muse nantional for lamie Tchad,aris 1950 p 7-8
16. Le beuf (ip) are heologie Tchadienne opict p 14-15
17. lebeuf – j.p- qrc heologie tchadienne . opcit p.p 12-14
18. Leboeuf, Jean Paul, et Annie Mad Leboeuf: les ARTE de SAO, Cameroun, Tchad, Nigeria, Edition l'harmattan,aris 1986, 76.
19. Leboeuf. Jean paul et Masson de troubet: la civilisation du Tcad,aris
20. Paul Hourt, et Christion le Masson, Op.cit, 240

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X